

## الأبعاد السياسية والعبادية في الإسلام وخصائص الحكومة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

.. إن الجوانب التي يعيشها الإنسان لا يمكن حصرها ببعض الظواهر. إذ هناك ثمة نقاط مشتركة بين الإنسان والنبات. كما يشترك بها الحيوان أيضا. وهناك أمور تخص الإنسان فقط. ووفق منظور آخر فهناك ما يشابه حياة الإنسان في عالم الطبيعة عند الحيوانات. وهناك ما يميز الإنسان عن سائر الموجودات. فالحياة ليست حكرا على الإنسان وإنما يشاركه فيها النبات والحيوان. ويمتاز الإنسان من بين جميع الكائنات الحية بالمنزلة الروحية والمعنوية، وكذلك ثمة قوة تفوق المنزلة العقلية يتسم بها الإنسان، بالقوة، تمكنه من اجتياز عالم الطبيعة والوصول إلى منازل لا يمكن تصورها. وجميع جوانب الإنسان بحاجة إلى التربية والإنماء. وكما أن هناك أساليب وطرقاً تتناسب مع الطبيعة أو الحياة فإن هناك أيضا أساليب تتناسب مع المراتب التي يتصف بها الإنسان. وبإمكان الإنسان أن يدرك بعضها أو لربما أكثرها. وقد بعث الله (تبارك وتعالى) الأنبياء والرسل لأجل إعداد وتربية البشر وإيصالهم إلى أعلى مراتب الكمال التي قلما اطلع عليها أحد لولا الأنبياء والرسل. وما لم يتم التعرف على الداء لا يمكن المباشرة بالمعالجة. والأنبياء جاؤوا لإيصال الإنسان إلى تلك المراتب التي لم يتمكن علماء الطبيعة من اكتشافها، فمهما عمل علماء الطبيعة فإن غاية ما يمكن أن يتوصلوا إليه لن يتجاوز إدراكهم لخصائص عالم الطبيعة. ولكن ماذا عن عالم ما وراء الطبيعة؟ هذا ما لا يمكن لهم أن يقدموا أية إجابة عنه. إذ أنه يختلف عن عالم الطبيعة من حيث الكمالات والمراتب. فهناك في عالم الطبيعة اعتبارات أكثر سمواً من الاعتبارات الدنيوية، ونحن غافلون عنها ولا يمكننا رؤيتها بالعين، وبإمكان الإنسان أن يصل إلى هذه المراتب من خلال المجاهدات والسير على الصراط المستقيم الذي رسمه له الأنبياء والرسل، وليس بإمكان أناس عاديين أن يقوموا بهذا الدور. فإن الله (تبارك وتعالى) بعث الأنبياء من أجل تربية هذا الإنسان كي يصل إلى مراتب ما وراء الطبيعة، ولتكون التربية تربية إلهية.

وأنتم أيها السادة الحضور، تعيشون حاليا خارج بلادكم وأنا اعتبركم بمثابة أبنائي وأكث لكم كل المحبة والتقدير. وما أريد أن أقوله لكم هو أنكم ترون الآن الهيئة الظاهرة من عالم الطبيعة وأغلب نشاطاتكم تتعلق بهذا العالم. وإن أغلب الأمور التي تشاهدونها هي ذات صلة بهذا العالم المحسوس كالأحداث التي تدور في إيران بما فيها الاشتباكات بين الجماهير وجلاوزة النظام. بالطبع تتسم هذه

الأحداث بطابع معنوي أيضا، إذ أن ثورة الشعب هي من أجل إحقاق الحق، بالإضافة إلى ما لا يحصى من الأمور التي ترتبط بعالم الطبيعة، ولكن هناك أيضا مراتب أعلى وأسمى من المراتب الدنيوية يجب أن ننتبه إليها ونهتم بها، كالعبادات التي أوصى بها الأنبياء ودعونا إليها كأداء الصلاة والصوم والحج الخ... والتي تمثل علاجا حقيقيا من أطباء حقيقيين وحاذقين في عملهم.. أطباء جاؤوا لإيصالكم إلى منازل الكمال، ويتعين عليكم الاستفادة منها والأخذ بها ما دمتم تحيون في هذا العالم. وعندما تفارق أرواحنا هذا العالم وترحل نحو عالم آخر وحياة أخرى ستكون حينها متسمة بالتربية الصحيحة التي تضمن لنا حياة سعيدة في الحياة الآخرة، ومما يؤسف له أنني سمعت عن وجود تقصير من جانب شبابنا في العمل بهذه الأحكام الإسلامية كأداء الصلاة التي لها أهمية كبيرة في الإسلام.

وربما . لا سمح الله . أهملتم هذه الصفات العلاجية اثر عدم معرفتكم بقيمتها وأهميتها. فهللما قبل فوات الأوان وقبل يوم لا ينفع فيه الندم. ولا بد من الإشارة إلى أن الإسلام . بخلاف المسيحية . لم يعتن بجانب وُعد واحد على حساب بقية الأبعاد والجوانب التي يحتاجها الإنسان في حياته. فالأحكام التي جاء بها الإسلام، سواء ما يتعلق منها بالشؤون السياسية، أو أحكام الثقافة الإسلامية، فكلها تنسجم مع احتياجات الإنسان، فبمقدار حاجة الإنسان إلى الطبيعة توجد هناك أحكام خاصة بالطبيعة. ونحن، وللأسف، غافلون عن حاجة الإنسان هذه إلى ما وراء الطبيعة، ونجهل الأمور المعنوية التي نحن بأمس الحاجة إليها، والكفيلة بتربيتنا تربية سليمة وتحقيق سعادتنا.

إن الله (تبارك وتعالى) غني عن أعمالنا وعباداتنا. الأنبياء (ع) أيضا لا حاجة لهم بأعمالنا. وعندما نراجع حياة وتاريخ الأنبياء، نجد أنهم قد بذلوا ما بوسعهم وتحملوا من العناء ما تحملوا في سبيل تربيتنا وسعادتنا. فعندما تدرسون أو تراجعون حياة النبي موسى (ع) والنبي عيسى (ع) أو حياة نبينا محمد (ص) خاصة، أو عندما تراجعون التاريخ الإسلامي، تجدون أن بعض الأنبياء قد أقام دولة وكانت لديهم سلطة على الناس. ولكنهم لم يكونوا يتصرفون كما يتصرف رؤساء الجمهوريات والزعماء السياسيين اليوم.

ومع أن رسول الله (ص) كان قد بسط في حياته رسالته على بلاد العرب وبعض البلدان الأخرى، ولكنه لم يقيم بما يقوم به رؤساء جمهوريات وزعماء العالم. وكان (ص) حينما يجلس في المسجد يقرب أصدقاءه إليه ويتحدث معهم بكل تواضع، بحيث لم يكن بميسور القادمين من خارج المسجد والذين لم يروا الرسول إلى ذلك الحين أن يميزوا الرسول (ص) من الآخرين.

على هذا النحو كانت عشرته ومعايشته لأصحابه. لا تتصوروا أنه كان يجلس على مثل هذا المقعد الذي أجلستموني عليه. بل كان يجلس على بساط شبيه بهذا البساط الذي جلستم عليه، بحيث كان القادم من خارج المسجد يجد عناء التعرف عليه.

وكان بإمكان من يروم الذهاب إليه أن يلتقي به بكل بساطة وسهولة، خلافا لرؤساء الجمهوريات اليوم، إذ على كل من يريد أن يلتقي بهم أن يتحمل المشقة والعناء، وقد لا تتحقق أمنيته أبدا. فجميع الناس كانوا يحدثون الرسول (ص) ويتحدث معهم ويسمعون إجابته على أسئلتهم. أما عن بيته فقد كان منزله ملاصقا للمسجد، ولا تتصوروا أن المسجد يشابه مساجد المدن الحالية، فقد كان أساسا قطعة أرض أحاطوها بالخشب وأغصان الشجر لتجنب دخول الحيوانات. ولم يكن في داخله سوى غرفة أو غرفتين مبنية من الطين. ولم يكن في مسجد الرسول (ص) سوى أشياء بسيطة، إذ كان منزله بسيطا للغاية لا كما هو الحال في بيوتنا.

أما عن حياة أمير المؤمنين علي (ع)، فقد بسط نفوذ حكومته وإمامته على بلاد شاسعة شملت جميع أرجاء الحجاز والعراق وسوريا ولبنان ومصر وإيران وتوحدت كل هذه البلدان تحت لوائه. فكيف يا ترى كانت حياته؟ هل كانت مشابهة لحياة الأمراء؟ كان الإمام (ع) يمتلك فقط جلد خروف يفرشه ليلا، حسب ما يذكر التاريخ، وبنام عليه هو وزوجته. وفي النهار كان يحشي جلد الخروف علفا ليعلفوا بها البعير. وكان يحفر القناة بيده. وفي نفس اليوم الذي تمت فيه مبايعة المسلمين له، عاود العمل الذي كان يعمل، ولم يكن يعمل من أجل نفسه ومن أجل منفعته الخاصة بل حفر قناة وجعلها وقفا للفقراء. ونحن أيها السادة نريد حاكما يقتدي بالرسول الأكرم (ص) والإمام علي (ع)، نحن الذين تحملنا المشقات وعانينا ما عانينا، وعندما نكلم شعبنا المسلم فإن خلاصة ما نريد هو مطالبتنا بحاكم لا يكون خائنا.

وينقل عن الإمام (ع) أنه كان يحسب عوائد بيت المال كالزكاة، ومقدار ما يجب أن يدفعه الناس من ضرائب لبيت المال. كان مصباحه الزيتي بيده ليضيء به المكان، وبينما هو منهمكا بإعداد الكشوفات جاء شخص حسب ما تذكره الرواية وكان له حديث خاص مع الإمام (ع) فأطفا الإمام المصباح ثم راح يحدثه.

والآن أنتم تلاحظون ماذا يفعل هؤلاء السلاطين. ونحن لم نطلع إلا على القليل من جرائمهم. راجعوا أحداث إيران لتروا ماذا يفعل هذا المجرم وكيف يعيث فسادا في البلاد وكيف يتصرف مع بيت المال؟ بيت المسلمين. إن هؤلاء الحكام الذين يتساءلون عن هوية الإسلام عليهم أن يدركوا أن

الإسلام لا يريد أن يخرب أو أن ينسف ويهدم كل شيء. وعلى العكس مما يتصورون فإن الإسلام يسعى للحفاظ على نظم الطبيعة وتطهير العالم مما علق به من مفاسد ولا بد من حكومة إسلامية تحقق هذا الهدف العظيم، حكومة لا تسرق ولا تخون شعبها. وقد كانت للمسلمين حكومة وسلطة لم ترافقها أعمال النهب أو السلب والخيانة. وانطلاقاً من ذلك لا بد من حكومة إسلامية ووجود حاكم إسلامي ونظام إسلامي.

إن أحد أسباب مطالبتنا بوجود حكومة إسلامية، والإطاحة بالحكومة الملكية القذرة هو أننا لم نر ولم نقرأ في كتب التاريخ أن أحداً من السلاطين والحكام مهما كان متغطرساً وظالماً أن يخون شعبه ووطنه. صحيح أن أكثر الحكام كانوا جبابرة فاسدين ويعتدون على الناس، لكن لم يجرؤ أحد منهم أن يبيع وطنه إلى الأجنبي. ولم يقدم أحدهم على تقديم ثروات شعبه إلى الأجنبي مجاناً. ولكن هذا الأمر قد حصل في زمان هذا الرجل (الملك) وانحصرت هذه الخيانات بشخصه الفاسد إذ بدد الأجنبي في زمانه كل ما نمتلك، هم يعيشون حياة مترفة، والشعب يعيش حالة فقر شديدة، ولقد كررت هذا الحديث خلال هذه الأيام أكثر من مرة، فقد اطلعت أخيراً أن إحدى شقيقات الملك قد شيد لها قصرًا لم يقدر ثمنه إلى حد الآن. وقد يقدر في المستقبل بمبلغ يحير العقول. وأذكر أن خمسة ملايين دولار قد صرفت على تزيينه وحدائقه. في حين أننا نقتدي بحاكم كان يطفى المصباح الذي هو ملك لجميع المسلمين من أجل أن يحدث أحد أصحابه حديثاً خصوصياً. إننا نقتدي بإمام قصره هو المجد الذي حظي به دون غيره.. وقد حل هذا الإمام العظيم ضيفاً على ابنته وذلك في الليلة الأخيرة من حياته، وكان حينها في عز عظمتها، فقدمت له ابنته خبزاً مع الملح والحليب، فقال لها:.. متى رأيتني آكل طعامين في وجبة واحدة؟ فقدمت له الحليب، لكنه طلب منها أن تقدم له الخبز والملح بدل ذلك. واكتفى أمير الحجاز وإيران وسوريا ولبنان والعراق وبلدان أخرى يأكل الخبز والملح.

أما الأخت المجرمة للملك فقد بذرت خمسة ملايين دولار من أموال الشعب في أعمال تلحيط ويستتة قصرها! بالإضافة إلى كلفة العقار التي لم يعلن عنها. وقد قرأت في الصحف ليلة أمس أن الملك قد احتفل ليلة الرابع من آبان بصحبة أخته فرح فقط، إذ هرب بقية أفراد الطغمة الحاكمة إلى الخارج بعد أن نهبوا أموال الشعب وهربوها إلى أميركا، ويقال إنهم اتصلوا هاتفياً قبل عدة أيام بإيران وأمروا بشحن طائرة بالمجوهرات ونقلها إلى أميركا. ولأن الملك يحتمل نهايته والإطاحة به لذا قام بعمليات نهب موسعة.

نحن نطالب بقيام حكومة إسلامية ولا نسمح بحدوث الفوضى، البعض يقول لنا إنكم تريدون أن تقيموا حكومة إسلامية ستوقف عجلة تقدم البلد وهذه هي إشاعات باطلة ومغرضة يروج لها الإعلام. وإنما نريد أن نحرك عجلات التقدم، وعلى نحو توفر مصالحنا لا مصالح الأجانب، وسنحول دون بيع نفطنا إلى أوروبا بأسعار زهيدة، سنقوم بتصدير مقدار معقول من النفط، ونشترط أن نكون أحرارا في التصرف بعائدات النفط، لا أن يبنوا بعائدات النفط قواعد عسكرية أميركية. ونحن ضد الفوضى، ولكننا في نفس الوقت نسعى للإطاحة بحكومة تنهب شعبنا وتخون وطنها. ونطالب بقيام حكومة إسلامية مخلصه لشعبها المسلم. ونطالب بحكومة لا تقتل شعبها لمجرد أنه يهتف ضد الملك ويعلن تدمره واستيائه منه. وخلاصة القول: أرجو أن لا يثيروا الذعر فيكم من الحكومة الإسلامية، لأن الحكومة الإسلامية هي حكومة العدالة، وهي تسعى إلى تحقيق حياة سعيدة لشعبها إن شاء الله تعالى، ونأمل من الله تعالى أن تتحقق هذه الحكومة عاجلا غير آجل. (الحاضرون: إن شاء الله).

---

#### هوية الخطاب رقم . 47

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: 25 ذي القعدة 1398 هـ، الموافق 28 أكتوبر 1978م.

الموضوع: الأبعاد السياسية والعبادية في الإسلام وخصائص الحكومة الإسلامية.

المناسبة: وسائل إعلام النظام ومحاولاتها الفاشلة في تخويف الناس من الحكومة الإسلامية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس.